RIMAK International Journal of Humanities and Social Sciences
ISSN: 2717-8293
Volume 5, Issue 3, May 2023

Received: 16/03/2023 **Accepted:** 09/04/2023 **Published:** 01/05/2023

THE BABYLONIAN KING NABONAIDH'S CAMPAIGN ON THE NORTHWEST OF THE ARABIAN PENINSULA

Basim Mohammed HABIB [1]

Dr. , Directorate of Education Directorate, Dhi Qar, Iraq

Abstract:

The most important thing covered by our research entitled: "The Babylonian King Nabonaidh's Campaign on the Northwest of the Arabian Peninsula": Presenting the reasons that led the Babylonian King Nabonaid to invade the northwestern Arabian Peninsula. The repercussions of the religious movement that Nabonaid wanted to spread the worship of the god Sin throughout his empire, or his need for a location away from his predatory enemies, or forces that support him in confronting them, as well as the economic importance of Tayma, especially as a trade route that the Babylonians seek to expand with the western regions After the Medes blocked them from the eastern and northern trade routes, their control over Iran and Asia Minor... etc of the reasons, the research also presented the progress of the campaign, and the most important areas that it reached, the most important centers of which are: Tema (Taima), iatribu (Yathrib), Hiibraa (Khaybar) and others These centers became important cities and towns after that, as the campaign left a number of monuments, the most important of which are: the inscriptions, whether on the obelisks or on the rocks, whose languages and fonts differed according to the background of their bloggers, and other remnants of this period. Mallah: A large well and remnants of a wall were found around the city of Tayma, with various archaeological finds and the remains of buildings whose function was not accurately identified, but it is likely that one of them was for a temple and another for a palace or an administrative building.

Key words: The Babylonian King Nabonaidh's Campaign**,** The Northwest of the Arabian Peninsula.

http://dx.doi.org/10.47832/2717-8293.23.18

[1] basim02@gmail.com

حملة الملك البابلي نابونائيد على شمال غرب شبه الجزيرة العربية

باسم محمد حبيب

أ.م.د، مديرية تربية ذي قار، العراق

الملخص:

أهم ما تناوله بحثنا : " حملة الملك البابلي نابونائيد على شمال غرب شبه الجزيرة العربية " : عرض الأسباب التي حدت بالملك البابلي نابونائيد إلى غزو منطقة شمال غرب شبه الجزيرة العربية، إذ أتضح من دراسة الأدلة والشواهد المتوفرة أن هناك أسباب عدة لها، منها : تداعيات الحركة الدينية التي أراد نابونائيد بها نشر عبادة الإله سين في إنحاء إمبراطوريته، أو حاجته إلى موقع يبعد عنه أعدائه المتربصين به، أو قوى تدعمه في مواجهتهم، فضلا عما تمتاز به تيماء من أهمية إقتصادية لاسيما كطريق للتجارة التي يسعى البابليون إلى توسيعها مع المناطق الغربية بعد أن سد عليهم الميديون طرق التجارة الشرقية والشمالية بسيطرتهم على إيران وآسيا الصغرى... إلى آخره من الأسباب، كما عرض البحث سير الحملة، و أهم المناطق التي وصلتها وأهمها مراكز : تيما (تيماء) ويثريبو (يثرب) وخيبترا (خيبر) وغيرها، وهي مراكز غدت بعد ذلك مدنا و بلدات مهمة، إذ خلفت الحملة جملة من الآثار أهمها : النقوش الكتابية سواء تلك التي نقشت على المسلات أم على الصخور والتي أختلفت لغاتها وخطوطها تبعا لخلفية مدونيها، ومن المخلفات الأخرى لهذه الحملة : العثور على بئر كبير و بقايا سور حول مدينة تيماء مع لقى أثرية مختلفة وبقايا بنايات لم تشخص وظيفتها بدقة ولكن يرجح أن أحدها لمعبد وآخر لقصر أو مبنى إداري.

الكلمات المفتاحية: الملك البابلي نابونائيد، شمال غرب شبه الجزيرة العربية.

المقدمة:

تعد حملة الملك البابلي الأخير نابونائيد (Nabu - naId) (555 - 539 ق.م) التي استهدفت شمال غرب الجزيرة العربية (الحجاز)، من الحملات التي أثيرت حولها تساؤلات كثيرة، إذ جرى التساؤل حول أسباب هذه الحملة، وهل شملت معظم شمال غرب الجزيرة العربية أم مناطق محددة فحسب ؟ وما أهم ما حققته من نتائج سواء أكان للدولة البابلية وملكها نابونائيد أم لهذه المنطقة التي لم تتعرض كثيراً لمثل هذه الحملات في السابق ؟ وماذا حصل للبابليين في شمال غرب الجزيرة العربية بعد سقوط بابل على يد الفرس الأخمينيين عام 539 ق.م ؟ هل عادوا لبلادهم أم بقوا في المنطقة ؟ و فيما إذا بقوا فيها : كيف كان وضعهم الاجتماعي والسياسي ؟

ونظراً لنقص الشواهد المادية و الكتابية الناتجة عن ندرة التنقيبات الأثرية في المنطقة فقد كان من الصعوبة على المؤرخين والباحثين الإجابة عن كثير من تلك التساؤلات إجابة دقيقة و وافية، مستعينين بدلاً عن ذلك بالأدلة غير المباشرة ومنها الاستنتاجات والتحليلات لإتمام بحوثهم و بلوغ مرادهم، لكن لحسن الحظ جرت مؤخراً تطورات كبيرة غيرت كثيراً في مجرى الأمور من بينها: زيادة وتيرة الاستكشافات الأثرية التي تحقق بعضها على يد بعثات سعودية وأخرى على يد بعثات أجنبية أو مشتركة، يضاف إلى ذلك زيادة الوعي بأهمية الآثار لدى المواطنين بعد أن كان كثير منهم ينظر لها في السابق على أنها أرث بال لأمم غابرة ومنقرضة أصابها سخط الله لكفرها وظلمها، فكان لهذا الوعي والنظرة الإيجابية الجديدة أثرهما في زيادة كم الإكتشافات الأثرية التي نتج أغلبها من تعاون المواطنين مع السلطات الرسمية.

لقد استفاد البحث من عدد من البحوث و الدراسات العربية والأجنبية التي قدمت معلومات قيمة عن جغرافية تيماء وسكانها وأهميتها السياسية و الاقتصادية، وعن دوافع نابونائيد من تحركه نحوها وأحوال بابل في عهده، فضلاً عن الدراسات التي تناولت النقوش المكتشفة في المنطقة والتي لها علاقة بحملة نابونائيد والآثار الشاخصة والملتقطة من قصور ومعابد وأسوار ومنحوتات وفخاريات وغيرها، ممن لها فائدة كبيرة في استقصاء ما نجم عن الوجود البابلي في المنطقة من تأثيرات بشرية وحضارية على الرغم من قصر مدة الحملة التي لا تتجاوز العشر سنوات.

ومن أجل الإجابة على التساؤلات أعلاه وبلوغ أهداف البحث المذكورة آنفاً جرى تقسيم البحث على ثلاث مباحث أولها : أسباب الحملة العسكرية للملك البابلي نابونائيد، لإنه وكما هو معروف في الدراسات التاريخية لا يوجد حدث تاريخي إلا وكانت له أسباب أدت إليه، ولا توجد نية لغزو أو تحرك ما إلا وكانت خلفه دوافع وأهداف سواء أكانت مباشرة أم غير مباشرة، أما المبحث الثاني فقد أهتم بعرض خطة الحملة ومسارها وإلى أي مدى حققت الأهداف التي وضعت لأجلها، فيما ركز المبحث الثالث والأخير على التأثيرات الحضارية والبشرية لحملة نابونائيد على شبه الجزيرة العربية، ومن ذلك مصير الحملة بعد سقوط بابل، وماذا حل بالبابليين من جنود وموظفين في هذه المنطقة بعد عودة نابونائيد إلى بابل وانتهاء حكمه ؟

تمهيد

قبل أن نتناول موضوع بحثنا لابد أن نعرض لمحة عن الملك نابونائيد وتيماء التي قام هذا الملك باحتلالها وجعلها مقراً لإقامته مدة عشر سنوات، ففيما يخص الملك نابونائيد (nabunaid) أو نبونيدس كما يسمى باليونانية، هو آخر ملوك سلالة بابل الحديثة أو الحادية عشر (الكلدانية) التي حكمت من 626 إلى 539 ق.م، يعني اسمه (نابو يؤيدني)، والده نبيل من حران اسمه (نابو – بلاتسو – أكبي) كان مقرباً من الملك نابوخذنصر الثاني [1]، أما والدته (أداد – كوبي) فهي امرأة ذات مكانة عالية وقد تكون أميرة آشورية، انطلاقاً مما ورد في سيرتها عن ولادتها ونشأتها عندما أشارت إلى أنها ولدت في زمن أبي الملك الآشوري آشوربانيبال الذي قد يعني أنها ابنته أو إحدى قريباته لاسيما إذا ما صح كونها الكاهنة العليا لمعبد الإله (ننار | سين) في حران بحسب ما يستشف من كلامها عن خدمتها لمعبد الإله سين [2]، إذ أن هذا المنصب الرفيع لا يمنح غالباً إلا لأميرات من الأسر الحاكمة مثلما هو الحال مع منصب الكاهنة العليا لمعبد الإله (ننار | سين) في أور الذي تقلدته عدة أميرات من الأسر الحاكمة في بلاد الرافدين [3]، لكن هناك من ينفي كونها كاهنة فضلاً عن كونها أميرة لإنها لم تذكر ذلك في سيرتها[4]، لذا فإن ذكرها لـ آشوربانيبال لا يعدو أن يكون نتاجاً لإعجابها به لا أكثر، وعلى ما يبدو كان لهذه المرأة تأثير كبير على تطور ابنها وترقيه إلى قائد كبير مقرب من الملوك وبالأخص الملك نابوخذ نصر الثاني (604 – 562 ق.م) الذي كلفه بمهمات عدة منها توسطه بين مملكتي ميديا وليديا الذي أثمر عن معاهدة سلام بينهما [5]، الأمر الذي زاد من مكانته لدى نبوخذ نصر بعد أن لمس فيه الإخلاص والكفاءة، ما أهله لتولي العرش البابلي بعد مقتل الملك لباشي مردوخ (556 – 555 ق.م) حفيد نبوخذنصر من ابنته الأولى، فكان عهده الذي دام 16 عاماً حافلاً بالأحداث الكبيرة ومنها طرد الميديين من حران في عام 550 ق.م الذي يبدو أنه جاء بطلب من أمه التي تعيش هناك [6]، ثم جاءت حملته على تيماء لتكون آخر الحملات التي قام بها أثناء حكمه لإن حكمه انتهى بعد ذلك بقليل بعد احتلال الفرس الأخمينيين لبابل عام 539 ق.م.

أما تيماء فهي بلدة تقع في شمال غرب شبه الجزيرة العربية في واحة غنية بالمياه والنخيل ما جعلها موطنا لقبائل عدة وملتقى للطرق التجارية التي تصل بين دول الشرق الأدنى القديم ومناطق شبه الجزيرة العربية خاصة الطريق التجاري الممتد بين الشام واليمن والطريق الذاهب لمصر عبر مدين وسيناء فضلاً عن الطريق الممتد من تيماء إلى بابل [7]، ومع ذلك و على الرغم من موقعها التجاري المهم إلا أن أهل تيماء لم يقصروا نشاطهم الاقتصادي على التجارة فحسب بل مارسوا الزراعة والرعي أيضاً مستفيدين من خصوبة أرضهم ووفرة مياههم مقارنة بأقسام الجزيرة العربية الأخرى[8]، لذا غدت هدفاً لدول عدة خاصة الدولة البابلية الحديثة 626 – 539 ق.م التي واجهت ظروفاً اقتصادية صعبة بسبب سيطرة الميديين على الطرق التجارية الشمالية والشرقية، ما أدى إلى حرمانها من موارد كبيرة كانت تحصل عليها من الضرائب ونشاطات التجار في تلك الأنحاء، لذا رأى البابليون أن تيماء هي أفضل سبيل لهم لتعويض ما فقدوه من نفوذ وما خسروه من موارد لذا قاموا باحتلالها.

المبحث الأو: | أسباب الحملة العسكرية البابلية على شمال غرب الجزيرة العربية

اختلف الباحثون حول السبب الرئيسي لحملة نابونائيد على شمال غرب الجزيرة العربية (الحجاز)، إذ رجح بعضهم أن يكون للعامل الديني الأثر الأكبر في توجه نابونائيد نحو تلك المنطقة التي لم تكن فيما مضى على لائحة المناطق التي يسعى الملوك البابليون إلى فتحها و الإقامة فيها لبعدها عن منطقة نفوذهم و وعورة الطريق إليها، لكن هذا الأمر تغير على ما يبدو بعدما وضع نابونائيد الإله (ننار | سين) (nanar | Sin) إله القمر بدلاً عن (مردوخ) (Marduk) إله بابل إلاهاً رئيساً في مجمع الآلهة البابلية [9]، ولتلافي تبعات قراره هذا لاسيما التخلص من مضايقة كهنة مردوخ أتخذ خطوة أخرى تمثلت بإختيار عاصمة بديلة يمكنه التعبد فيها للإله (ننار | سين) من دون أن يضطر للدخول في مواجهة مع كهنة مردوخ، فكانت تيماء أفضل خيار له بموقعها المتميز وأهميتها الاقتصادية الكبيرة [10]، ويرى أحد الباحثين في هذه الخطوة توجها من نابونائيد لجعل عبادة الإله سين قاسماً مشتركاً يوحد بها ما بين القبائل الآرامية الساكنة في حران شمال سوريا والقبائل العربية الساكنة في شبه الجزيرة العربية [11]، فيما يحتمل أيضاً أنه فعل ذلك لتلافي أداء بعض الطقوس المرتبطة بالإله مردوخ والتي لا يمكن أداؤها إلا من قبل الملك نفسه كطقس الزواج المقدس الذي يعد أحد أهم طقوس ديانة بلاد الرافدين، لذا توقف كهنة مردوخ عن إقامة هذا الطقس مدة عشر سنوات بسبب وجود الملك في تيماء و غيابه عن العاصمة[12]، لكن ما هو السبب الذي دفع نابونائيد لتبني هذه الخطوة التي خلخلت كيان الدولة و زعزعت استقرار البلاد، هل هي نتاج عاطفة دينية شخصية ؟ كما يرجح أحد الباحثين كونه ورث ذلك عن أمه كاهنة معبد الإله سين (I – hul - hul) في حران [13]، أم نتاج رؤية دينية – سياسية لترصين دعامات إمبراطوريته التي تتشكل من شعوب عدة لكل منها ديانتها الخاصة، فرأى أن خير وسيلة لتوحيدها هو ربطها بديانة واحدة تجعلهم أكثر تراصاً وتماسكاً فيما بينهم.

آخرون ربطوا ما فعله نابونائيد بالعامل العسكري نظراً لما تواجهه مملكته من تحديات كبيرة من قبل الميديين أولاً ثم الفرس الأخمينيين الذين هيمنوا بعدهم على معظم إيران وآسيا الصغرى فجاءت حملته إلى شمال غرب الجزيرة العربية من أجل الحصول على دعم القبائل العربية والآرامية التي تستوطن هذه المنطقة [14]، أما الباحث فيضيف سبباً عسكرياً آخر ربما يقف وراء تحرك نابونائيد هذا ألا وهو محاولة غزو مصر أو السيطرة على الطريق المؤدي إليها من تلك الجهة كونه أحد الطرق المهمة لتجارة بابل مع الأقاليم الغربية، نظراً للإخفاقات الكبيرة التي عانى منها البابليون في حملاتهم السابقة نحوها من فلسطين، على الرغم من أن هذا الأمر لم يعد ممكناً بعد سنوات قليلة من ذلك بعد أن تغيرت موازين القوى لصالح الفرس الأخمينيين الذي بات تحركهم وشيكاً نحو مصر وبابل، ما دفع الأخيرين إلى تناسي خلافاتهم والتوحد لمواجهة الخطر المشترك.

وهذا ما يصح أيضاً على العامل السياسي، إذ أن توسع نابونائيد في شمال غرب شبه الجزيرة العربية يمكن أن يرتبط برغبته في توسيع مساحة مملكته ومد نفوذ بابل إلى أراضي جديدة لم تكن في السابق خاضعة لسيطرتها، وبضمها إلى الإمبراطورية فإنها ستمثل عمقاً سياسياً وعسكرياً له في مواجهته للإمبراطوريات القوية الجديدة التي ظهرت في غرب إيران والتي باتت تشكل خطراً كبيراً على مملكته وتهدد بزوال ملكه بما في ذلك إمكانية جعل تيماء عاصمة بديلة عن بابل في حالة سقوطها بيد أعدائه [15].

رأي آخر ربط ما بين الحملة وانتشار بعض الأوبئة أو الأمراض في بابل لاسيما مرض الملاريا الذي يمتاز بخطورته وعدواه الشديدة[16]، فيما يعرض رأي آخر أن هذا المرض هو الجذام[17] أو قرحة خبيثة بحسب نص آرامي يهودي من نصوص مخطوطات البحر الميت أو كما تسمى أيضاً مخطوطات كهوف قمران التي وردت فيه صلاة منسوبة لنابونائيد[18]، لذا فإن الذهاب في حملة إلى البادية والبقاء فيها مدة عشر سنوات تعد فرصة ذهبية للاستشفاء والنقاهة.

أما أهم الأسباب في نظر الباحثين فهو السبب الاقتصادي الذي تولد بعد سيطرة الميديين على أراضي واسعة في إيران وآسيا الصغرى، الأمر الذي تسبب في غلق طرق التجارة الشرقية بوجه البابليين وقلص من الموارد التي يحصلون عليها من تلك التجارة، فكان على نابونائيد البحث لبلاده عن طرق جديدة تفتح له آفاق تجارية رحبة في مناطق لا تصلها أيدي خصومه سواء من الميديين أو غيرهم [19]، ومن الطبيعي أن ترنو أنظاره إلى المناطق الغربية التي مازال بإمكانه الاتصال بها، إذ أن علاقته بمصر التي تقع في غرب الإمبراطورية البابلية لم تكن بالتي يركن لها بعد سلسلة الحروب التي خاضها البابليون ضدها في عهد الملك السابق نابوخذ نصر الثاني (nabu – hud - nsir) (604 – 562 ق.م) [20]، وليس هناك منطقة تتوافر فيها هذه الميزة أفضل من شبه الجزيرة العربية لاسيما أقسامها الغربية المحاذية للبحر الأحمر الذي يشرف على مناطق يمكن للبابليين المتاجرة معها ابتداءً من مصر شمالاً إلى النوبة والحبشة جنوباً، أما اختيار تيماء هدفاً مركزياً لحملته فيبدو أن له علاقة بأهميتها كملتقى للطرق التجارية التي تربط دول الشرق الأدنى القديم بشمال غربشبه الجزيرة العربية والسيطرة المحلية و بالأخص تجارة التوابل التي تمر بتيماء قادمة من الجنوب [21]، فضلاً عن طريق البخور الذي يمتد ما بين شمال شبه الجزيرة العربية وجنوبها ماراً بعسير والحجاز ومدين.

المبحث الثاني: سير الحملة

لا يعرف الوقت الذي قام فيه نابونائيد بغزو الجزيرة العربية، إذ اختلفت آراء المؤرخين حول السنة التي حصل فيها الغزو، وبما أن نصوصه تشير إلى أنه بقي في تيماء عشر سنين فإن من المؤكد أن هذا الغزو حصل في أو قبل سنة 549 ق.م، لإنه بعد عشر سنين انتهى حكم نابونائيد بسقوط بابل على يد كورش الأخميني أي عام 539 ق.م، وبما أننا نعلم أن نابونائيد عاد إلى بابل قبل سقوطها بمدة قصيرة من أجل ترتيب إجراءات الدفاع عن عاصمته فإن هذا قد يثير اللبس حول السنة التي عاد فيها والتي يمكن حصرها بين سنة سقوط بابل وما قبلها بسنة أو سنتين، لكن هناك من يربط ما بين حملة تيماء مارة الذكر وحملة أخرى ورد ذكرها في النصوص المسمارية مؤرخة بالسنة الثالثة من حكم نابونائيد استهدفت مدينة أدومو (Adummu) الجوف التي تبعد حدود 280 ميلاً إلى الشرق من العقبة، ونظراً لوجود كسر في اللوح المسماري، فقد بات من الصعوبة معرفة إن كان نابونائيد قد عاد إلى بابل بعد سيطرته على هذه المدينة أم أنه واصل سيره نحو تيماء [22]، ومن ثم هناك رأيان حول المكان الذي انطلقت تلك الحملة منه : الأول يرى أنها ربما انطلقت من سوريا (أرض حاتي بحسب المصادر المسمارية)، فهذا المكان يتيح للملك ضم بعض القطعات البابلية الخبيرة بحروب البادية لعبورها بادية الشام أكثر من مرة والسير إلى تيماء من أقرب نقطة إليها في الأراضي البابلية، أما الرأي الثاني فيرى أن انطلاق الحملة تم من بابل مباشرة بحسب ما يوحي له نص مسماري ورد فيه على لسان الملك ما نصه : "...أما أنا فقد جعلني (الإله ننار = سين) أخرج من مدينتي بابل وسلكت الطريق إلى تيما (tema) تيماء، دادانو(dadanu) العلا، ياداكو (Padakku) فدك، خيبترًا (Hiibraa) خيبر، يديخو(Iadihuu) حتى إلى يتريبوا (iatribu) يثرب. عشر سنوات تجولت بينهم ولم أدخل مدينتي بابل " [23].

لا تعرف المدة التي استغرقتها حملة نابونائيد على الجزيرة العربية، لكن من المؤكد أنها استغرقت بضعة شهور بدءاً من الاستعداد لها بوضع الخطط اللازمة التي تتيح للجيش الوصول إلى غايته من دون معرقلات مروراً بإعداد الجيش الذي أسندت إليه هذه المهمة نفسياً وجسدياً وصولاً إلى تحركه إلى تيماء واحتلاله لها، وحول تقدم الحملة إلى تيماء واحتلالها لها، أشارت مسلة عثر عليها في حران إلى أن الملك نابونائيد " شق طريقاً بعيداً وحال وصوله قتل يتر ملك مدينة تيماء بالسلاح وأراق (دماء أهل المدينة (تيماء) وأنعام أهل المناطق المحيطة بها أما هو نفسه فأقام في تيماء ومعه أقامت القوات الأكدية وجمل المدينة (تيماء) وبنى قصراً مشابهاً لقصر بابل وبنى.... وأودع ثروة المدينة

(تيماء) وثروة المنطقة المحيطة بها فيه.... والحرس يحيطون به..... ويتحسرون بصوت عال..... جعلهم يحملون اللبن (الآجر) والسلال من جراء العمل....،..... " [24].

وكما ورد في النص، فإن حملة نابونائيد كانت شاقة وطويلة ليس لبعد المسافة بين بابل وتيماء وحسب بل ولوعورة الطريق المؤدي إليها وهو طريق نادراً ما عبرته حملات عسكرية، وعلى ما يبدو نال نابونائيد مساعدة ملك أدومو المسمى بسران بن مضران، بحسب ما يشير إلى ذلك نقشان ثموديان عثر عليهما في منطقة محجة جنوب غرب تيماء [25]، إذ لا يمكن لأي جيش عبور أرض مجهولة ووعرة من دون معلومات توضح له معالم المكان من تضاريس وبشر فضلاً عما يحتاجه من دعم عسكري ولوجستي، وعند وصوله إلى تيماء واجه مقاومة من سكانها بقيادة رجل اسمه يتر، لا نعلم صفته هل هو ملكاً أم زعيماً قبلياً، لكن من المرجح أنه كان زعيماً قبلياً على شاكلة كثير من الزعماء الذين أشير إلى صلاتهم بنابونائيد، أما خلفيته فلا يمكن الجزم إن كان عربياً أم آرامياً.

ولا يعرف سبب أراقة نابونائيد لدماء سكان تيماء كما يرد في النص، وهل ما ذكره عن ذلك دقيقاً أم فيه نوعاً من المبالغة على عادة النصوص التي تكتب لأغراض دعائية ؟ ونحن نميل إلى الأمر الثاني، لإن النص ذكر أيضاً إراقته لدماء أنعامهم، وهو أمر يصعب تفسيره، لإن بإمكان نابونائيد أخذها كغنائم حرب فضلاً عن أنه أقام في تيماء وهو على ما يبدو أحد أهداف حملته، لذا ليس من المعقول قيامه بقتل سكان المدينة التي يروم السكن فيها لإنها ستكون حينئذ خالية من السكان أو معادية له، أما ما ورد في النص عن بناءه سوراً و قصراً مشابهاً لقصر بابل، فيعرض رغبته في جعل تيماء عاصمة ثانية لمملكته وموقعاً حصيناً لإقامة قواته التي جاءت معه إلى المنطقة، إذ يتضح من وصف القصر الوارد في النص أنه كان كبيراً وواسعاً بحيث يمكن فيه إيداع كل ما يمكن جمعه من ثروات المدينة وثروات المناطق المجاورة لها.

ولم تكن تيماء هي الهدف الوحيد من الحملة، لإنه ما أن فرغ نابونائيد من احتلالها حتى قصد خمسة واحات أخرى مجاورة لها، هي بحسب أحد النصوص كل من : دادانو (العلا حاليا)، ياداكو (فدك)، خيبترا(خيبر)، يديخو، أياثريبو (يثرب)، أصبحت بعد ذلك مقراً لحامياته العسكرية في المنطقة، كما يحتمل وصوله أو بعض أتباعه إلى مناطق أخرى لم يرد ذكرها في نصوصه كمكة التي يرى الباحث عبد الوهاب لطفي أن اسمها الوارد في خريطة الجغرافي اليوناني بطليموس كلاوديوس وهو مكارابو (makarabu) ربما يعود لجذور لغوية أكدية[26].

وعلى ما يبدو عمل نابونائيد طوال وجوده في تيماء على تمتين علاقته مع زعماء القبائل الذين تتواجد مضارب قبائلهم على مقربة من حامياته لكسب ودهم وإتقاء خطرهم، لإنه من الصعوبة في مثل هذه المناطق البعيدة الاعتماد فقط على القوة العسكرية، ويوضح لنا أحد النقوش الذي عثر عليه في منطقة رم جنوب غرب تيماء قيام نابونائيد بالتحالف مع زعيم محلي اسمه (مردان) وصفه النص بصديق نابونائيد فيما يرجح أنه أيضاً كان حاكمه على إحدى المناطق ربما لوجود قبيلته فيها [27]، وعلى الرغم من إشارة النص إلى صفة التحالف التي تربط مردان بالملك البابلي، إلا أن مقارنة لفظة صديق التي يتضمنها النص بنظيرتها السبئية يقرب معناها من معنى حاكم، ما يعني- إذا ما صحت المقارنة - أن مردان لم يكن مجرد حليف للملك البابلي، بل وحاكم من حكامه التابعين، ولم يكن مردان الزعيم الوحيد في المنطقة الذي جرى ذكره في النقوش الكتابية كصديق لـ نابونائيد، بل ورد ذكر زعيم آخر في نقش خط بخط شبيه بخط النص السابق، ونظراً لرداءة الخط وطبيعة الصخرة التي نقش عليها النص وصعوبة اللغة التي كتب فيها فضلاً عن الخط نفسه، فقد حصلت قراءات مختلفة له أجمعت جميعها على أن صاحب النص هو أحد الزعماء المحليين في المنطقة وإن له صلة بنابونائيد[28].

لقد أصبحت تيماء بعد وصول نابونائيد إليها عاصمة ثانية للإمبراطورية لا بل غدت هي مركز القرار السياسي في الدولة لإن الملك كان موجوداً فيها، أما بابل فكان يتواجد فيها ولي العهد البابلي (بيل شار أوصر) نائباً لوالده الذي أخذ يمارس مهامه الملكية من تيماء ومن ذلك استقبال وفود الدول المجاورة وعقد الاتفاقيات والتحالفات، إذ تشير مسلة حران إلى ذلك بما نصه " ملك بلاد مصر (وملك) بلاد الفرس (وملك) بلاد العرب وكل الملوك المعادين بعثوا (الوفود) إلي لعقد (معاهدات) السلم والصلح (معي) "[29]

أما عودة نابونائيد إلى بابل بعد عشر سنوات من خروجه منها، فقد جاءت– بحسب أحد النصوص المسمارية - بعد حلم ظهر له فيه الإله سين وهو يدعوه للعودة إلى بابل، وهو أمر يمكن ربطه بما أعتاد ملوك بلاد الرافدين عليه من نسبة قراراتهم إلى الآلهة [30]، لكن هناك من ربط عودته بإزدياد مقاومة القبائل العربية لوجوده في تيماء، وهو أمر أشارت

إليه بعض النقوش العائدة لهذه المدة، إذ وردت فيها عبارات مثل " رمح ملك بابل " و " حرب دادان " التي رأى بعضهم بإنها إشارة لحرب وقعت بين نابونائيد وبعض القبائل التي رفضت الخضوع له [31]، وقد يكون ذلك قبل الصلح الذي عقده نابونائيد مع بعض زعماء القبائل والذي أشارت له مسلة حران، وهو صلح أدى إلى إنهاء تلك الحرب واستتباب الأوضاع في تيماء وما حولها لصالح نابونائيد لمدة من الزمن [32]، فيما يحتمل أيضاً أن عودته جاءت بعد سماعه بالمخاطر الكبيرة التي تتهدد عاصمته بابل من الفرس الأخمينيين ورغبته بالمشاركة في الدفاع عنها وهو ما نميل إليه.

المبحث الثالث: التأثيرات الحضارية والبشرية لحملة نابونائيد على شبه الجزيرة العربية

على الرغم من عودة نابونائيد إلى بابل بعد عشر سنوات من إقامته في تيماء إلا أن الوجود البابلي في شمال غرب شبه الجزيرة العربية لم يكن بلا تأثيرات بشرية أو حضارية، ولدينا أدلة عدة تشير إلى ذلك منها :

1- بما أن خمساً من الواحات التي سيطر عليها نابونائيد في حملته على شمال غرب الجزيرة العربية كانت مستوطنة من اليهود في بداية الدعوة الإسلامية فإن هذا مما يرجح كونهم من بقايا الوجود البابلي في هذه المنطقة [33]، وإذا ما صح ذلك على اليهود فإنه يصح أيضاً على وجود سكان من بقايا الجنود والموظفين البابليين الذين قدموا مع حملة نابونائيد[34]، أما أهم الأدلة التي تؤكد ذلك فمن بينها وجود ألفاظ عراقية قديمة في لغة أهل يثرب والمناطق الأخرى التي تقع إلى الشمال منها وخاصة في الزراعة [35]، فضلاً عن التشابه في بعض العادات والتقاليد وبالأخص الميل إلى الاستقرار وتكوين الدول التي تتشابه في نواحي عدة مع دول بلاد الرافدين لاسيما في نظام الحكم الملكي والمنزلة الدينية للملك، وبالتأكيد لا يمكن لهذه التأثيرات أن تظهر أو تدوم بسبب حملة أمدها عشر سنوات بل لابد أن يكون ذلك من جراء وجود دام لقرون، ما يرجح بقاء أعداداً من البابليين في تيماء بعد مغادرة نابونائيد لها بانتظار عودته إليها لحماية مكاسبه في تلك المنطقة.

2- هناك أدلة تشير إلى أن للبابليين أثر في ظهور المدن لأول مرة في شمال غرب شبه الجزيرة العربية، منها : تحول الواحات التي سيطر نابونائيد عليها إلى مدن صغيرة من بينها تيماء التي باتت العاصمة الثانية للإمبراطورية البابلية خلال مدة العشر سنوات التي قضاها نابونائيد في المنطقة، وهذا ما يصح أيضاً على دادان (العلا) التي أصبحت فيما بعد عاصمة لمملكة لحيان [36]، فضلاً عن مدن أخرى نمت تدريجياً كالمدينة (يثرب) التي ورد ذكرها كإحدى المناطق التي سيطر عليها نابونائيد، وأيضاً مكة والطائف التي نمت على مقربة منها.

ومما يؤكد أثر البابليين في ظهور المدن في شمال غرب شبه الجزيرة، غيابها في مناطق الجزيرة العربية الأخرى بما ذلك جنوب غرب الجزيرة العربية حتى حدود اليمن، وعلى الرغم من أن الواحات التي سيطر عليها البابليين كانت مأهولة بالسكان إلا أن المرجح أنها لم تكن مدناً بالمعنى الحرفي للفظة مدينة بل قرى أو بلدات صغيرة.

كما يمكن عد ظهور مفهوم الدولة بدلاً من المشيخة أو القبيلة من التأثيرات البابلية أيضاً، إذ ظهرت مملكة لحيان بعد عودة نابونائيد إلى بلاده بمدة قصيرة ودامت من القرن السادس قبل الميلاد إلى القرن الثاني بعد الميلاد الذي شهد سقوطها على يد مملكة الأنباط جنوب سوريا [37].

3- على الرغم من أن سكان منطقة شمال غرب الجزيرة العربية كانوا يعرفون الكتابة قبل حملة نابونائيد بقرن واحد على الأقل أي منذ القرن السابع قبل الميلاد [38] إلا أن استعمالها في حياتهم اليومية كان قليلاً ومحدوداً، لكن الأمر تغير بعد حملة نابونائيد التي يبدو أنها أسهمت في انتشار الكتابة وتوسع استخدامها من قبل أهالي المنطقة، إذ خلف الوجود البابلي في تيماء نصوصاً كثيرة مدونة بالخط المسماري واللغة الأكدية مازال أغلبها قيد الدراسة والتحليل [39]، وعلى ما يبدو أدى ذلك إلى توسع استخدام الكتابة بين الأقوام التي أحتك البابليون بها وبخطوط هي أقرب ما تكون إلى الخط الأبجدي، إذ جاء استخدام الخط الأبجدي دون المسماري لإن هذا الخط هو ما يلائم اللغات أو اللهجات الجزرية فضلاً عن سهولة نقشه أو كتابته على الصخور التي تمتاز المنطقة بها، ويعد نص حاكم أدومو (بسران بن مضران) الذي عثر عليه في منطقة محجة جنوب غرب تيماء من أقدم النصوص التي يمكن ردها إلى هذه المدة، وهو نص يعتقد أنه كتب في أثناء أو بعد حملة نابونائيد بقليل، لإنه يتضمن إشارة إلى الغنائم التي حصل عليها نابونائيد من حملته على المنطقة وكان بسران هو المعني بحمايتها على ما يبدو.

ولم يكن نص بسران هو النص الوحيد الذي أشار إلى وجود نابونائيد في منطقة تيماء بل هناك نصوص أخرى تعرض ذلك منها نص مردان آنف الذكر والذي جرت ترجمته بالشكل التالي : "هذا مردان صديق نابونائيد ملك بابل، أتيت مع رب سرس كيت (كي) ينعم، (يرعى) ب (في) فلاة تلو (بالقرب من) بدة (اسم المكان) لعق (وفي عجلة) " [40]، ونص آخر عثر عليه على الصخرة نفسها التي كتب عليها نص مردان ورد فيه ما نصه : " سكترسل بن سرتن أتيت مع رب سرس (قائد الجيش) " [41]، ومن هذه النصوص أيضاً نصان آخران لشخص اسمه أندس يبدو أنه مثل مردان كان حليفا لنابونائيد وذلك بورود لفظة صديق بين ثنايا النص، إذ ورد في النص ما نصه : " (أنا) هذا أندس صديق ملك بابل " وفي نص آخر ورد ما نصه " أنا (هذا) أندس سادن ملك بابل نسرت (نطر) " [42].

4- ولكن أهم تلك المظاهر الحضارية هو وصول ديانة الإله (سين) بشكلها البابلي إلى غرب شبه الجزيرة العربية، لإن أهل تيماء كانوا أيضاً يعبدون إله القمر الذي يطلقون عليه اسم (تير) [43]، ومن ثم من المرجح كثيراً أن ذلك كان أيضاً من الأسباب التي دعت نابونائيد لغزو المنطقة لتمتد في عهده عبادة هذا الإله من حران شمالاً إلى مكة جنوباً ومن أور شرقاً إلى فلسطين غرباً، إذ يرجح أيضاً أنه قد بنى معبداً لهذا الإله في منطقة نفوذه في شبه الجزيرة العربية، لكن للأسف لا يمكننا في الوقت الحاضر معرفة موقعه بالضبط، فهناك شكوك حول وظيفة البناء المشار له بقصر الحمراء في تيماء، هل هو معبد أم قصر ؟ وفيما إذا كان معبداً هل هو معبد للإله سين أم هو معبد لإله آخر غيره ؟ إلا أنه يمكن ترجيح كونه معبداً من مائدة قربان حجرية عثر عليها في إحدى غرفه [44]، لكن أهم تلك الآثار مسلة مدونة بالخط الآرامي لرجل يقدم قربانا للرب (صلم) من أجل حياه رجل آخر اسمه (بصجد)يحتمل أنه حاكم المدينة [45]، وعلى الرغم من أن هذه المسلة تعطينا دليلاً إضافياً على كون المبنى معبداً لأحد الآلهة إلا أن ما يثير اللبس أن هذا الإله ليس الإله سين بل إلها آخر اسمه (صلم)، هذا الأمر يضعنا أمام ثلاث أمور : إما أننا لم نعثر بعد على معبد الإله سين أو أن هذا المعبد كان مخصصا للإله سين ثم جرى تخصيصه لإله آخر هو الإله صلم بعد عودة نابونائيد إلى بابل أو أنه معبداً مشتركاً لأكثر من إله ومن ذلك الإلهين سين وصلم، ومن الأدلة الأخرى لانتشار عبادة هذا الإله بشكله البابلي، انتشار رمز هذا الإله وهو الهلال في رسومات هذه المنطقة والذي بات فيما بعد رمزاً للديانة الإسلامية نفسها [46]، أما الآلهة البابلية الأخرى فليس هناك أدلة على شيوع عبادتها في تيماء وما يجاورها من الأراضي عدى الإله (أدد) إله الرعد لدى البابليين والآراميين الذي يعتقد خبير الآثار السعودي الدكتورعبد الرحمن الأنصاري أن أصل تسمية بئر (هداج) وهو البئر المركزي في تيماء يعود إلى وجود صلة بين لفظ (هداج) وبين اسم (هدد) أو (أدد) إله الماء لدى الساميين وخاصة الآراميين الذين استوطنوا تيماء في أوائل الألف الأول قبل الميلاد[47]، ما يضعنا أمام رأي آخر وهو أنه قد يكون أيضاً من تأثيرات حملة نابونائيد، لإن للكلدانيين البابليين صلة قوية بالآراميين، كما يرجح أنه ليس كل البابليين الذين جاءوا مع حملة نابونائيد كانوا يعبدون الإله سين، فعلى الأرجح هناك من تمسك بعبادة مردوخ التي هي العبادة الرسمية لبابل، ومن المحتمل جدا أن هؤلاء أيضاً أنشأوا معبداً لهم في هذه المنطقة نحن نرجح أنه بني قريباً من موقع الكعبة في مكة، وإن الإله (هبل) إله قريش هو نفسه الإله مردوخ لكنه حمل الاسم البابلي الثاني له أي (بل) ويعني السيد [48]، فأضيفت له (الهاء) التي هي أداة التعريف في اللغات العربية الجنوبية بدلاً عن (أل) أداة التعريف في اللغات الشمالية وذلك بعد سيطرة قبيلة جرهم اليمنية على مكة في فترة لاحقة، كذلك حملت مسلات تيماء ونقوشها رموزاً دينية كثيرة أصلها من بلاد الرافدين، كما هو الحال مع النجمة المثمنة التي ترمز للإلهة عشتار وقرص الشمس المجنح الذي يرمز للإله شمش[49]، فضلاً عن رمز الهلال الذي أشرنا إليه آنفا.

5- خلف الوجود البابلي في تيماء وما يجاورها من المناطق تأثيرات فنية مهمة، إذ يتضح ذلك من عدة نماذج أهمها : منحوتة الحصان التي عثر عليها في تيماء والتي تعرض ملكاً يجري في الفلاة ممتطياً حصاناً عربياً، إذ رجح كثيرون أن هذا الملك هو نابونائيد نفسه استناداً لشكل اللحية المنسدلة على طريقة لحى الملوك البابليين وشكل غطاء الرأس الذي هو شبيه بغطاء الرأس الذي يلبسه الملوك البابليون [50].

لكن آخرون نفوا نسبة هذه المنحوتة إلى الملك نابونائيد فضلاً عن صلتها بالفن البابلي الذي يمتاز بسمات خاصة به لا تتوافر في هذه المنحوتة ومنها ما يتسم به ذلك الفن من غلبة المنحنيات الحادة والتعابير الجامدة وغياب المرونة في رسم الأشخاص بحيث لا يظهر منهم إلا جانب واحد، ولأن التفاصيل المنحوتة تختلف عن ذلك كثيراً فقد رأوا أنها لا تمت للفن البابلي بصلة ولا يمكن بالتالي ربطها بالملك نابونائيد[51].

أما نحن فلا نرى أن من الضروري الربط بين نسبة المنحوتة للملك نابونائيد وصلة سماتها بالفن البابلي، فهذان أمران مختلفان، ومن ثم بالإمكان نسبتها إلى الملك البابلي نابونائيد استناداً إلى الملامح التي يتسم بها وهي ملامح شبيهة بملامح الملوك البابليين مع عدم ربطها كلياً بالفن البابلي بل بفن يجمع ما بين السمات البابلية والسمات المحلية، كما يلاحظ التأثيرالبابلي أيضاً في مسلات عدة عثر عليها في تيماء [52]، أربعة منها منقوشة بخطوط آرامية، واحدة اكتشفت من قبل الرحالة هوبز عند تجواله في آثار تيماء عام 1880، تتمثل بعمود حجري ذي قمة مقوسة على أحد جوانبها نقش آرامي وفي جانب آخر منحوتة لرجل يبدو من هيأته أنه بابلي وقربه قرص شمس مجنح، كما عثر على مسلة أخرى تشتمل على عمود حجري منحوت من الحجر الرملي منقوشة بكتابة آرامية في بقايا المبنى الأثري المسمى قصر الحمراء في تيماء، أما المسلة الثالثة فهي أيضا عموداً منحوتاً من الحجر الرملي كان على ما يبدو مثبتاً على أحد أبواب المنازل وعليه كتابة آرامية، أما المسلة الرابعة فمصنوعة من الحجر الرملي الأخضر، وهي تشتمل على نحت رجل وكتابة آرامية جرت إزالة معظم كلماتها عدى لفظة (تيما) التي جرى تمييزها منها، لكن أهم تلك المسلات هي المسلة التي عثرت عليها في عام 2004 البعثة الألمانية – السعودية، وهي منحوتة من الحجر الرملي أيضاً، فيها نحت لرجل يعتقد أنه الملك البابلي نابونائيد مع رموز دينية تمثل الشمس والهلال وكوكب الزهرة ونص مدون بالخط المسماري البابلي [53]، كما يظهر التأثير البابلي أيضا على آثار أخرى عثر عليها في تيماء منها بعض المباخر و الأواني الفخارية[54].

6- كما ينسب للوجود البابلي في شبه الجزيرة العربية منشآت مهمة جرى تشييدها من قبل الملك نابونائيد في أثناء مكوثه القصير في تيماء ورد ذكر بعضها في النصوص المسمارية أهمها : السور الذي يحيط بتيماء والذي يصل عرضه إلى متر أو مترين وطوله أثنا عشر كيلومتراً فيما يصل ارتفاعه إلى عشر أمتار وهو مزود بغرف لاستراحة المقاتلين وأبراج مراقبة لرصد العدو[55]، أما بئر هداج الذي يعد من أكبر الآبار في شبه الجزيرة العربية فالمرجح أنه أيضاً من بقايا الحكم البابلي لتيماء على الرغم من أنه ربما رمم في عهود لاحقة مرات عدة.

أما أهم تلك الآثار التي يمكن أن تنسب لهذا العهد، فأولها قصر الحمراء الذي أشرنا إلى أنه ربما كان معبداً للإله سين الذي يعبده نابونائيد نظراً لشكله المربع ووجود منصة للقرابين فيه، وهذا البناء يقع في النهاية الشمالية الغربية لسور المدينة، أبعاده 35 في 10 متر، يتكون من ثلاثة مرافق لها أشكال مختلفة أهمها المرفق رقم (1) الواقع بين المرفقين (2 و 3) وهو القسم المركزي من البناء، وهذا القسم عبارة عن بناء مربع الشكل مكشوف من الأعلى مدعماً بثلاث حجرات عثر فيا لأولى منها على لقى أثرية مختلفة منها حجران مربعان يحتوي كل منهما على فجوة وحجر مكعب عليه نحت بارز[56]، وهناك قصر آخر يقع في الجزء الشمالي الغربي من المدينة، أبعاده 34 في 25، يعتقد بعضهم أنه بني

بعد العصر البابلي الحديث[57]، لكن التأثير البابلي واضح من سعته وطريقة بنائه، ما قد يشير إلى أنه بني من قبلهم أو من أشخاص متأثيرين بالأسلوب البابلي في البناء.

7- أما ما قدمته تيماء للحضارة والدولة البابلية، فعلى رأس ذلك التوسع في استخدام الخط الآرامي، على الرغم من أن البابليين اعتمدوا هذا الخط قبل ذلك، وبشكل أوسع عند تأسيس الدولة البابلية الحديثة (الكلدانية) (626 – 539 ق.م) [58]، إلا أن إضافة منطقة كبيرة بحجم شمال غرب شبه الجزيرة العربية إلى الإمبراطورية البابلية كان عاملاً مهماً في التوسع في استعمال هذا الخط، فضلاً عن اللغة الآرامية التي تحولت من كونها اللغة الرسمية الثانية بعد اللغة الأكديةعند تأسيس السلالة إلى اللغة الرسمية الأولى في القرن الخامس قبل الميلاد [59]، أما أثر تيماء في اعتماد هذه اللغة فذلك لإن سكان تيماء والمنطقة المحيطة بها يتكلمون لغات قريبة الصلة بها، فسهل ذلك من اختيارها لغة رسمية كونها الأكثر انتشاراً من بين اللغات السامية (الجزرية) الأخرى، كما كان لتيماء أثر في إيجاد طرق وأسواق جديدة للتجار البابليين الذين عانوا من سيطرة الدولة الميدية على الطرق الشرقية والشمالية، وإغلاق تلك المناطق بوجه التجارة البابلية [60]، فأصبح لبابل طريق تجاري يوصلها إلى تيماء ومنها إلى المناطق الأخرى في شبه الجزيرة العربية وشرق أفريقيا، وبالتأكيد لا يمكن للبابليين أن ينجحوا في توسيع نطاق تجارتهم في هذه المناطق من دون الإستعانة بخبرات التجار التيمائيين ذوي التاريخ العريق في تجارة البادية، كما تأثر البابليون بالطريقة التي يعتمدها سكان المنطقة في تدوين مأثوراتهم، سواء أكان ذلك باعتماد الصخور مادة للكتابة بدلاً عن الرقم الطينية التي اعتادوا الكتابة عليها في بلاد بابل أم باعتماد الحجر أو العظام أداة للكتابة [61]، وهذا ما يصح أيضاً على فن النقش، إذ جرى اعتماد طريقة النقش التيمائية في نقش بعض المنحوتات، وخير مثال على ذلك منحوتة الحصان السابق ذكرها والتي يرجح نحتها بأمر من السلطة البابلية لإظهار عظمة الملك البابلي وقوته للسكان المحليين.

الاستنتاجات

نستنتج من هذا البحث ما يأتي :

1-اختلف الباحثون حول السبب الرئيسي لحملة نابونائيد على شمال غرب الجزيرة العربية : بين من ربطها بالعامل الديني لرفع نابونائيد منزلة الإله سين فوق منزلة مردوخ إله بابل الرئيس، وبين من أقرنها بالعامل العسكري للمخاطر الكبيرة التي تواجهها مملكته من الميديين أولاً ثم الفرس الأخمينيين وحاجته لمعونة القبائل الآرامية والعربية، وبين السبب الاقتصادي بعد أن فقدت مملكته سيطرتها على طرق التجارة الشرقية والشمالية، فبات بحاجة إلى طرق جديدة تفتح لمملكته آفاق تجارية رحبة في مناطق لا تصلها أيدي خصومه سواء من الميديين أو غيرهم.

2-اختلفت آراء المؤرخين حول السنة التي حصل فيها الغزو، لكن من المرجح على وفق المدة التي قضاها نابونائيد في تيماء وهي عشر سنين أن هذا الغزو حصل في أو قبل سنة 549 ق.م، والشيء نفسه فيما يخص المكان الذي أنطلقت منه الحملة، إذ جرى التساؤل إن كانت قد أنطلقت من سوريا كونها أقرب جغرافيا إلى تيماء أم من بابل حيث يتواجد الملك.

3-نال نابونائيد على ما يبدو مساعدة ملك أدومو المسمى (بسران بن مضران)، إذ لا يمكن لأي جيش عبور أرض مجهولة ووعرة من دون معلومات توضح له معالم المكان من تضاريس وبشر فضلاً عما يحتاجه من دعم عسكري ولوجستي.

4-واجهت الحملة عند وصولها إلى تيماء مقاومة من سكانها بقيادة رجل اسمه يتر، لا نعلم صفته هل هو ملكاً أم زعيماً قبلياً، لكن من المرجح أنه كان زعيماً قبلياً على شاكلة كثير من الزعماء الذين أشير إلى صلاتهم بنابونائيد.

5-تثير نصوص نابونائيد التي ورد فيها إراقته لدماء أهالي تيماء كثيراً من اللبس وتجعلنا نتساءل : هل ما ذكره عن ذلك دقيقاً أم فيه نوعاً من المبالغة على عادة النصوص التي تكتب لأغراض دعائية ؟ ونحن نميل إلى الأمر الثاني، لإن النص ذكر أيضا إراقته لدماء أنعامهم، وهو أمر يصعب تفسيره، لإن بإمكان نابونائيد أخذها غنائم حرب فضلاً عن أنه أقام في تيماء وهو على ما يبدو أحد أهداف حملته، لذا ليس من المعقول قيامه بقتل سكان المدينة التي يروم السكن فيها.

6-لم تكن تيماء هي الهدف الوحيد للحملة، لإنه ما أن فرغ نابونائيد من احتلالها حتى قصد خمسة واحات أخرى مجاورة لها هي بحسب أحد النصوص كل من : دادانو (العلا حاليا)، ياداكو (فدك)، خيبترا (خيبر)، يديخو، أياثريبو (يثرب)، أصبحت بعد ذلك مقرا لحامياته العسكرية في المنطقة.

7-عمل نابونائيد طوال وجوده في تيماء على تمتين علاقته مع زعماء القبائل الذين تتواجد مضارب قبائلهم على مقربة من حامياته لكسب ودهم وإتقاء خطرهم، لإنه من الصعوبة في مثل هذه المناطق البعيدة الاعتماد فقط على القوة العسكرية.

8-شهدت المنطقة تطورات حضارية مهمة من بينها : تحول الواحات التي سيطر عليها نابونائيد إلى مدن صغيرة من بينها تيماء التي باتت العاصمة الثانية للإمبراطورية البابلية خلال مدة العشر سنوات التي قضاها نابونائيد في المنطقة، فضلاً عن دادان عاصمة مملكة لحيان، ويثرب (المدينة) التي باتت من المدن المهمة عند ظهور الإسلام، كذلك يمكن عد ظهور مفهوم الدولة بدلاً من المشيخة أو القبيلة من التأثيرات البابلية أيضاً.

9-على الرغم من أن أهالي منطقة شمال غرب الجزيرة العربية كانوا يعرفون الكتابة قبل حملة نابونائيد بقرن واحد على الأقل أي منذ القرن السابع قبل الميلاد إلا أن إستعمالها في حياتهم اليومية كان قليلاً ومحدوداً، لكن الأمر تغير بعد حملة نابونائيد التي يبدو أنها أسهمت في انتشار الكتابة وتوسع استخدامها من قبل أهالي المنطقة.

10-وصول ديانة الإله (سين) بشكلها البابلي إلى غرب شبه الجزيرة العربية، لإن أهل تيماء كانوا أيضاً يعبدون إله القمر الذي يطلقون عليه اسم (تير) ، ومن ثم من المرجح كثيراً أن ذلك كان أيضاً من الأسباب التي دعت نابونائيد لغزو المنطقة.

11-خلف الوجود البابلي في تيماء وما يجاورها من المناطق تأثيرات فنية مهمة، إذ يتضح ذلك من عدة نماذج أهمها : منحوتة الحصان التي عثر عليها في تيماء والتي تعرض ملكاً يجري في الفلاة ممتطياً حصاناً عربياً، إذ رجح كثيرون أن هذا الملك هو نابونائيد نفسه.

12-كما ينسب للوجود البابلي في شبه الجزيرة العربية منشآت مهمة جرى تشييدها من قبل الملك نابونائيد في أثناء مكوثه القصير في تيماء ورد ذكر بعضها في النصوص المسمارية أهمها : سور تيماء الكبير، وبئرها الشهير المسمى (هداج)، فضلاً عن قصرين كبيرين أحدهما يحتمل أنه هو نفسه معبد الإله سين في تيماء.

13- أما ما قدمته تيماء للحضارة والدولة البابلية، فعلى رأس ذلك التوسع في إستعمال الكتابة واللغة الآرامية حتى باتت اللغة الرسمية في بلاد بابل في القرن الخامس قبل الميلاد، و الحصول على المعارف و الخبرات التيمائية في مجال التجارة لاسيما تجارة البادية، فضلاً عن التأثر بالطريقة التيمائية في النقش و الكتابة على الصخور التي شهدناها في نماذج كتابية ونحتية عدة.

الصور

صورة رقم (1)

مسلة بابلية من المتحف البريطاني تعكس نابونيد (نبونيد) وهو يقدّس القمر والشمس والزهرة

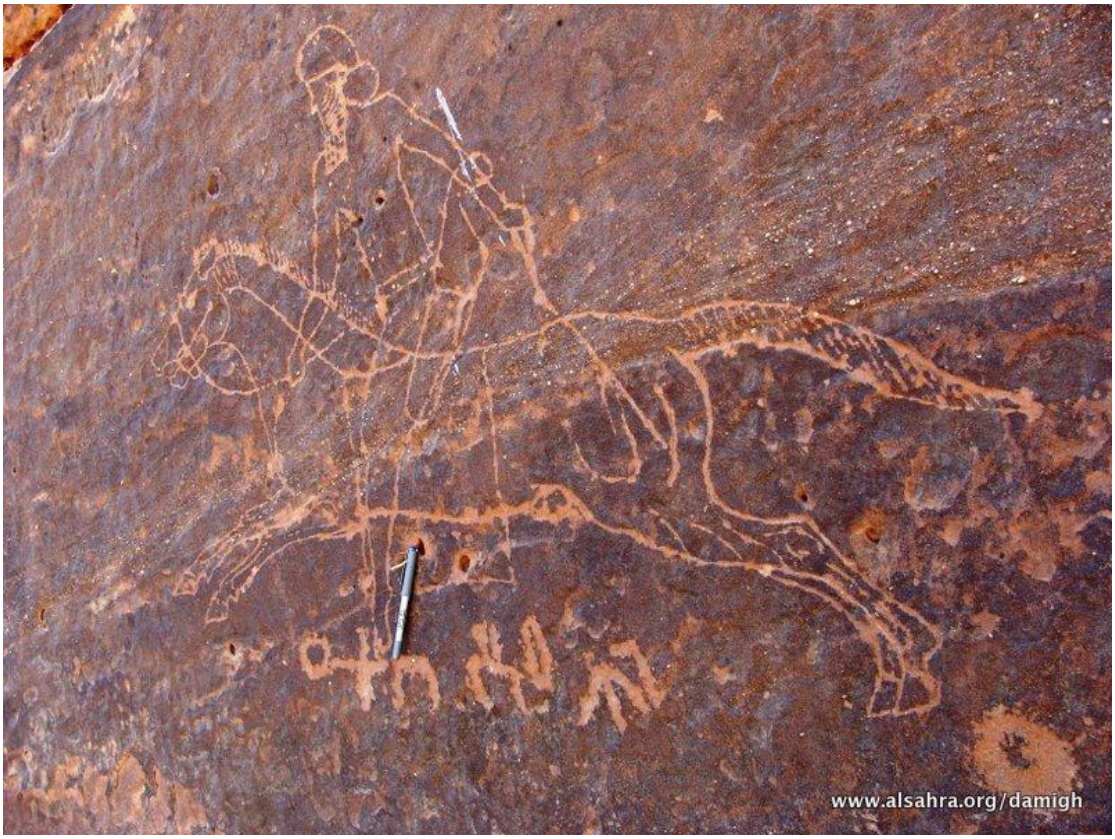

صورة رقم (2)

منحوتة الملك نابونائيد وهو راكب فرسه

صورة (3)

بقايا معبد يعتقد أنه كان مخصصاً لعبادة إله القمر ننار = سين

صورة (4)

صور تبين مدى ارتفاع سور تيماء

صورة (5)

صورة صورت قبل مائة عام يحتمل أنها لبوابة تيماء

صورة (6)

صورة حديثة لبئر هداج في تيماء

المصادر

1. ساكز، هاري، البابليون، ترجمة : سعيد الغانمي، (بيروت، 2009)، ص 250.
2. Van De Meroop, Marc. A History of Ancient Near East Blackwell,2004.P.279-28
3. ساكز، البابليون،ص 108 – 109.
4. المصدر نفسه، ص 250.
5. المصدر نفسه، ص 251.
6. باقر، طه، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة(الوجيز في تاريخ حضارة بلاد الرافدين)، ج1، (بيروت : دار الوراق، 2009)، ص 608.
7. المطوري، محمد علي عبد الكريم ، الحالة الاقتصادية في تيماء من القرن السابع إلى القرن الثاني قبل الميلاد، مجلة كلية التربية البنات – جامعة البصرة، ملحق العدد 19، 2015، ص 300 – 307.
8. المصدر نفسه، ص 296 – 300.
9. سليمان، عامر، العراق في التاريخ القديم (موجز التاريخ السياسي)، (الموصل، 1992)، ص 254.
10. الأحمد، سامي سعيد، سلالة بابل الحديث (626 – 539 ق.م)، بحث ضمن كتاب العراق في التاريخ، بغداد، 1983، 174.
11. غزالة، هديب حياوي، الدولة البابلية الحديثة، (دمشق، 2001)، ص 186
12. الأحمد، سلالة بابل الحديث (626 – 539 ق.م) ، ص 176.
13. هبو، أحمد رحيم، معالم حضارة الساميين وتاريخهم في سوريا وبلاد الرافدين، (حلب، 2003)، ص 107.
14. الأحمد، سلالة بابل الحديث (626 – 539 ق.م)، 174 – 175..
15. السناني، رحمة بنت عواد بن أحمد، تيماء تحت الحكم الكلداني في عهد الملك نابونائيد، (رسالة منشورة مقدمة إلى جامعة الملك سعود ف الرياض)، (المدينة المنورة، 2009)، ص 175.
16. المصدر نفسه،ص 167.
17. مرعي، عيد، بابل في عهد نابونائيد آخر ملوكها، دراسات تاريخية، العدد 4 – 63، (دمشق، 1998)، ص 36.
18. السناني،تيماء تحت الحكم الكلداني في عهد الملك نابونائيد، ص 170.
19. رو، جورج، العراق القديم، ترجمة : حسين علوان حسين، (بغداد، 1984)، ص 516.
20. حول ذلك ينظر :ردفورد، دونالد ب، مصر وكنعان واسرائيل في التاريخ القديم، ترجمة : علي خليل، (دمشق، 2005)، ص 371 – 381.
21. الحاج، محمد بن علي، حملة الملك نابونائيد على تيماء من خلال نقشين ثموديين جديدين لملك دومة (أدوماتو)، العدد العاشر لمجلة هيرودوت للعلوم الإنسانية والإجتماعية، ص 78.
22. رو، العراق القديم ، ص 515 – 516.
23. Gadd ،C.J. "The Harran Inscription of Nabonidus ،"Anatolian Studies Journal of The British Institute of Archaeology at Ankara ،London ،1958 ،VOL8،P.84.
24. الزبيدي، كاظم عبد الله ووسن جاسم محمد علي، سياسة ملوك الدولة البابلية الحديثة في إدارة مقاطعات شبه الجزيرة العربية (تيماء tema) و (حران harran) أنموذجا، دراسات في التاريخ والآثار، العدد 54، 2016، ص 415.
25. الحاج، حملة الملك نابونائيد على تيماء من خلال نقشين ثموديين جديدين لملك دومة (أدوماتو) ، ص 91.
26. لطفي، عبد الوهاب، العرب في العصور القديمة، ج1، (بيروت : دار النهضة العربية، 1979)، ص 320.
27. الذيب، سليمان بن عبد الرحمن، نقوش نبطية جديدة من منطقة (رم) جنوب غرب تيماء، الدارة، العدد 1 السنة 24، 1419. ص 174.
28. زكريا محمد، قراءة مغايرة لنقوش الملك نابونائيد البابلي في تيماء، بحث منشور عن النت، ص 9 – 12.
29. السناني، تيماء تحت الحكم الكلداني في عهد الملك نابونائيد،ص 124.
30. الزبيدي ، سياسة ملوك الدولة البابلية الحديثة في إدارة مقاطعات شبه الجزيرة العربية (تيماء tema) و (حران harran) أنموذجا ، ص 419.
31. علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج2، (بيروت : دار الساقي، 2001)، ص 267.
32. السناني، تيماء تحت الحكم الكلداني في عهد الملك نابونائيد، ص 124.
33. سليمان، العراق في التاريخ القديم (موجز التاريخ الحضاري ، ص 255.
34. علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ج 2، ص 269.
35. المصدر نفسه، ص 270.
36. حول مملكة لحيان ينظر : الأنصاري، عبد الرحمن، مملكة لحيان – وجهة نظر جديدة، التاريخ العربي، عدد 11، (الدار البيضاء، 1999).
37. السالم، هالة يوسف محمد، حول مشكلة تسلسل ملوك لحيان، بحث موجود على النت، ص 757.
38. السناني، تيماء تحت الحكم الكلداني في عهد الملك نابونائيد، ص 53.
39. Eichman, Schaudig and Hausleiter, 2006, p. 171-174; Hausleiter, 2010, p. 252-253
40. أسكوبي، خالد عباس، دراسة تحليلية مقارنة لنقوش منطقة (رم) جنوب غرب تيماء، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الملك سعود، كلية الآداب، 1417 / 1996، لوحة 5، ص 463..
41. زكريا محمد، قراءة مغايرة لنقوش الملك نابونائيد البابلي في تيماء، ص 6- 8.
42. المصدر نفسه، ص 9 – 12.
43. الأحمد،سلالةبابلالحديث (626 – 539 ق.م)،ص 174.
44. أبو درك، خالد إبراهيم، مقدمة عن آثار تيماء، عرض ومراجعة خالد الناشف، مجلة كندة، الجمعية السعودية للدراسات الأثرية، التقرير الأول، 1409 هـ – 1989 م، ص 24 – 25.
45. المصدر نفسه، ص 24 – 25.
46. الذيب، سليمان بن عبد الرحمن، نقوش تيماء الآرامية – صراع وإنفتاح، مجلة الفيصل السعودية، آذار 2016 .

[47]. الأنصاري، عبد الرحمن الطيب ، لمحات عن بعض المدن القديمة في شمال غرب شبه الجزيرة العربية، مجلة الدارة، العدد 1، الرياض، 1975، ص 80.
[48]. خان، محمد عبد المعيد، الأساطير العربية قبل الإسلام، (القاهرة، 1937)، ص 115 – 117.
[49].السناني، تيماء تحت الحكم الكلداني في عهد الملك نابونائيد، ص 285.
[50]. المصدر نفسه، ص 178.
[51]. محمد، زكريا، حول الحصان المزعوم للملك البابلي نابونائيد، بحث منشور على شبكة النت.
[52]. القحطاني، رزنة مفلح، مسلات واحة تيماء (دراسة مقارنة)، حولية كلية اللغة العربية في الزقازيق، العدد 38، ص 681.
[53]. المصدر نفسه، ص 668 – 673.
[54].السناني، تيماء تحت الحكم الكلداني في عهد الملك نابونائيد، ص 274– 280.
[55]. أبو درك، مقدمة عن آثار تيماء ، ص 23.
[56]. المصدر نفسه، ص 24 – 25.
[57]. المصدر نفسه ، ص 24.
[58]. لابورت، دو، بلاد ما بين النهرين (حضارة بابل وآشور)، ترجمة : مارون الخوري، (بيروت، 1971)، ص 203.
[59]. باقر، طه، مقدمة في تاريخ الحضارات القديم (حضارة وادي النيل وبعض الحضارات القديمة)، ج2، (بيروت، دار الوراق، 2011)، ص 309 – 310.
[60]. باقر، طه، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج1، ص 616.
[61]. السناني، تيماء تحت الحكم الكلداني في عهد الملك نابونائيد، ص 289.